Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences Volume (4), Issue (1) July(2024)

ISSN: 2957-3874 (Print)
Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences (JFHS)
https://www.iasj.net/iasj/journal/419/issues
مجلة الفارابي للعلوم الإنسانية تصدرها كلية الفارابي الجامعة

الشعر العباسي دراسة نقدية من التنظير الى التطبيق

قبس رزوقي وهيب
أ.د . لؤي صيهود فواز
جامعة ديالى كلية التربية للعلوم الانسانية قسم اللغة العربية
Luay.ar.hum@uodiyala.edu.iq kimmawaddah@gmail.com

المستخلص:

البحث الموسوم بـ (الشعر العباسي في النقد الجامعي العراقي حتى ٢٠٠٣م)، يقوم برصد مظاهر الدراسات النقدية في الشعر العباسي من التنظير الى التطبيق، وخاصة من الجانب التطبيقي؛ لان النظريات النقدية تظهر قيمتها وأصالتها في هذا الجانب، كما ويقوم بتحليل النصوص الأدبية وتقويمها من حيث الجودة والرداءة، فهو المجال الحقيقي لتلك النظريات، ولان الشعر كان يعدّ ديوان الأدب، وفخر العرب، وبشكل خاص الشعر العباسي؛ الذي كان يحتل مكانة عظيمة في ميدان الأدب، وقد كانت بداية هذا العصر هي الحقبة التي أخذ فيها النقد يتجه نحو تأسيس قواعد النقد، وفي طليعة من بادروا في هذا تأسيسه هو ابن سلام الجمحي (ت٢٣١هـ)، وسبب ذلك سيناقش البحث هذه الظاهرة بتفضيل وافٍ.

الكلمة المفتاح: الشعر العباسي ـ نقدية ـ التنظير ـ التطبيق

المقدمة:

تناولت كثير من الدراسات النقد بالدرس والتحليل، ولكن هذه الدراسات كانت فيها ما اتجه إلى البحث التاريخي، ومنها ما اقتصر على تناول بعض القضايا النقدية دون سواها ومنها من وقف عند كتاب أو كتابين لبعض النقاد، ومنها ما ألقى نظرة على النقد جملة دون أنْ يربط بينه وبين النقد الحديث.ولاشك في أنَّ هذه الدراسات جميعها دراسات رائدة لكل باحث لاحق في إنكار فضلها خاصّة، وإنّ بعضًا منها يُعُد بكرًا في البحث وأولاً في الحديث، وإنّ هذه الدراسات جاءت مكملة للدراسات السابقة، طارقةً جانبًا من جوانب النقد العربي، شُغلت عنه الدراسات السابقة فلم تطرقه، ألا وهو الجانب التطبيقي للنقد العربي في الشعر العباسي؛ وذلك لأنّ النظريات النقدية إنّما تظهر قيمتها وأصالتها في مجال التطبيق، وإلّا بقيت خرساء لا تَبِين، وتحليل النصوص الأدبية وتقويمها من حيث الجودة والرداءة هو المجال الحقيقي لتطبيق تلك النظريات.كما إنّ الشعر كان يُعدّ ديوان الأدب، وفخر العرب، وبه يفتخر الرجال على الرجال، فمنذ أنْ عرف الناس الشعر ظهر علم النقد، وسار مع الشعر بشكل متوازن، فمثلما عُرف المجيدون من الشعراء على مختلف العصور، كذلك عرف مجموعة من النقاد الذين تصدوا للشعر ونقدوه، فقد ميّزوا بين الجيد من الرديء, وقد كان الشعر العباسي يحتل مكانة عظيمة في ميدان الأدب والنقد؛ ذلك لأنّه مستودع اللغة ومحمل آدابها.وتناول هذا العصر أغراض الشعر العربي، وبرز فيه كثير من قضايا النقد، مثل قضية (اللفظ والمعنى)، و(قضية السرقات الشعرية) وغيرها من القضايا، وتُعد بداية هذا العصر الحقبة التي أخذ فيها النقد يتجه نحو تأسيس قواعده، التي لم تكن قد ظهرت في النقد الأدبي من قبل.وكان في طليعة من بادروا في تأسيس هذه القواعد ابن سلام الجمحي (ت ٢٣١هـ)، الذي يُعد أحد أكابر نقّاد الشعر من خلال ما أورده في كتابه (طبقات فحول الشعراء)، فقد قدّم فيه منهجًا جديدًا سليمًا الى حد ما في تحقيق النصوص الشعرية، وتمييز أصيلها من منحولها، وصحيحها من سقيمها، ووضع حدٍّ للنقد الذوقي الفطري، ومحاولة إرساء المقومات الموضوعية العلمية للنقد الأدبي، وقد جعل النقد فنًا قائمًا خاصًا، له رجاله وخبراؤه الذين لهم من الخبرة والثقافة ما يُمكِّنهم من الحكم على النصوص الشعرية حكمًا، وهو يريد بذلك أنْ يقطع الطريق على كل متطفل يخوض في النقد بغير علم، ويحكم بدون فهم.

ومن خلال هذه المقدمة سوف نقوم بالتعرف ـ أولاً ـ على مفهوم الدراسات النقدية من التنظير إلى التطبيق، وما كانت عليه عند الغرب والعرب, وثانيًا الرؤية النقدية للدراسات في الشعر وتطورها، ونأخذ أنموذجًا على هذه الدراسات عند بشار بن برد (ت١٦٨هـ)، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

الدراسات النقدية من التنظير الى التطبيق:

إنّ معنى النقد هو تحليل القطع الأدبية، وتقدير مالها من قيمة فنية، ولم تأخذ هذه الكلمة المعنى الاصطلاحي إلّا في العصر العباسي، إذ كانت هذه الكلمة تستخدم بمعنى الذم والاستهجان، فقد استخدمها (الصيارفة) في تمييز صحيح الدراهم والدنانير من زائفها؛ وذلك ليدلوا بها على الملكة التي يستطيعون بها معرفة الجيد من النصوص والرديء، وما تنتجه هذه المَلَكَة في الأدب من ملاحظات وآراء وأحكام مختلفة.

وقد مرّ هذا النقد بعدة مراحل من النقد الفطري إلى النقد الحديث، ومناهج الحداثة وما بعد الحداثة، فالتراث العربي كان حاملً ومتشعبًا بالنقد الأدبي، فهو يمتد على مساحة زمنية تبلغ عشرة قرون, ووردت تعاريف كثيرة ومتشعبة له، ولكنها كانت تجمع لإيضاح مفهوم بمعنى واحد، وهو فن تقويم الأعمال الأدبية، وتحليلها وتصنيفها على وفق منهج معين؛ بغية تمييز الجيدة منها من غير الجيدة.ووردتّ أيضًا بهذا المعنى في العيدي من المصادر العربية القديمة، وأولها كتاب (نقد الشعر)، لقدامة بن جعفر (ت٣٣٧هـ)، واستعمل ابن رشيق القيرواني (ت٣٥٦هـ)، كلمة (النقد) عنوان لكتابه (العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده)[١]. فيعد هذا دليل على تأصيل هذا المصطلح في المفهوم العربي القديم، وذلك من خلال تصنيفه وإدراجه ضمن العديد من عناوين الكتب القديمة، فلم تلتفت الدراسات النقدية إلى مراجعة كتب النقد وتقويمها إلّا في القرن التاسع الميلادي، ثم توسّعت هذه الدراسات في العصر الحديث، إذ وجد النقّاد أنّ ثمّة قراءات تحتاج إلى قراءة ثانية، وتقويم يحتاج إلى تقويم آخر، مما يصطلح عليه بـ (نقد النقد)[٢]. ومن الواضح أنّ الأدب يوجد أولاً، ثمّ يأتي بعده النقد، فالأدب موضوعه الطبيعة والحياة الإنسانية، أمّا النقد فموضوعه الأدب، فهو فنّ مشتق من غيره، أو متوقف على غيره، فمن هنا ينشأ الفرق البيّن بينهما, ومن الواجب علينا أن نفرّق بين النقد من جهة، وتاريخ الأدب والبلاغة من جهة ثانية، فالأول يتناول كل الآثار العقلية والشعورية عند الأمّة، متعقبًا لها مع دورات التاريخ، واضعًا كل أديب في مكانه، أو مدرسة إذا كانت له مدرسة. أما النقد فلا يحاول هذا التاريخ الكبير، إذ حسبه أن يقف عند الأدباء وما صاغوه من آثار فنية، ليحللها ويقوّمها، مفسرًا مواطن الجمال والقبح فيها، ومستكشفًا مواضع القوة والضعف, أذن فتاريخ الأدب يختلف عن النقد من حيث موضوعه وطريقة معالجته, أمّا البلاغة فلا تختلف عن النقد من حيث الموضوع، وإنّما تختلف من حيث المعالجة وطريقة العرض، فهي لا تُعنى أي عناية بالصلة بين الأثر الأدبي وصاحبه، وإنّما تُعنى بنظرية الأسلوب وخصائصه، وما يطوى فيها من تشبيهات ومجازات وكنايات. فليس من الصحيح أن نظنّ أنّ تعريف النقد يكفي للإلمام بالنقد من جميع جهاته، ولكن يجب أن ننظر إلى الناقد أيضًا، ولأنه يعدّ حجر الزاوية في إرساء دعائم النقد على أسس متينة من الفهم والدراية فيقول (إليوت): ((إنّ الناقد أدين له بأعظم الأفضال، فهو الذي يستطيع أن يجعلني أنظر إلى شيءٍ لم أنظر إليه أبدًا من قبل، وهو الذي وضع هذا الشيء أمامي وجهًا لوجه، ثم يتركني وحدي))[٣]. ويؤكّد (جونسون بوب) أنّ الناقد ينبغي له أنْ يبحث فيما يحاول الفنان أنْ يحققه[٤].أذن فالناقد الأدبي هو مبدئياً يعدُّ خبيرًا، يستعمل قدرة خاصة في قطعة من الفن الأدبي، فيفحص مزاياها وعيوبها ويصدر عليها حكمًا.وبعد هذه المقدمة عن الناقد، يمكننا الدخول على تعريف النقد لغة واصطلاحًا، ففي (اللغة) عُرِفَ النّقد بأنّه تمييز الدراهم، وإخراج الزيف منها، ويقال: نقد الشعر والنثر، وإظهار ما فيها من عيوب أو حسن، ففي حديث أبي الدرداء (ﷺ): **((يقول: إنْ نَقدتَ الناس نقدوك، وإنْ تركتهم تركوك))**[٥]، ومعنى نقدهم، أي: عبتهم واغبتهم، قابلوك بمثله، وهو من قولهم: نقدت رأسه بإصبعي، أي: ضربته، ونقدت الجوزة أنقدها إذا ضربتها.

أما (اصطلاحًا)، فهو يدور حول تمييز الأساليب النثرية والشعرية، ومعرفة الجيد والرديء منها، وتحليلها ومعرفة ما فيها من قبح وجمال، وموازنتها بغيرها؛ لتظهر درجة جودتها وحسنها، وتظهر مهمة النقد في التوضيح والتفسير والشرح والحكم على العمل الأدبي، حيث تظهر فيه التجربة الجمالية بصورة مؤثرة مقبولة، تسر القارئ، وتطرب السامع، وتمتع الناظر الفاحص الخبير.

كما ويعطينا النقد إحساسًا بالمقصد الجمالي، فلا نعود نطلب منه مطالب غير مشروعة، وأنّه ينمي التعاطف عن طريق إزالة الغوامض التي تقف في طريق التذوق, وإذا كانت مهمة النقد، فإنّ على الناقد أنْ يعرفَ أنَّ ما يصدره من أحكام على العمل الأدبي ليست نهائية أو قاطعة، وإنّما هي فرضية لا قطعية، وأن الناقد عليه ألّا يتمسك بالأصول القديمة، التي يمكن أن تكون غير صالحة للحكم على أعمال حديثة، بل عليه أنْ يتطوّر مع النص، ويبذل كلّ الجهد للإحاطة به، ومعرفة تجربته الجمالية، ويوضّح الخطط و الطرق التي اتبعها لفهم النص، ومدى تأثّره بها نتيجة خبراته الكثيرة، ويتلمس الكثير من الاتجاهات التي تحدد قيمة العمل في وضوح.

ويقول (كاريل): ((إنّ واجب الناقد أنْ يفهم بوضوح ماذا قصد الشاعر، وما العمل الذي كان عليه أن يؤدّيه، وإلى أيّ حَدٍّ استطاع بلوغه وتأديته، مستعينًا في ذلك بالمادة التي بين يديه[٦]. فعلى الناقد أنْ يُدرك أنّ العمل الفني مُتعدد الجوانب الجمالية، وكلّ متأمل فيها يحاول إبرازها بالصورة التي ترمقه وتعجبه، فتظهر تفسيرات كثيرة لعمل واحدٍ، هدفها كلها إبراز ملامح الفن الأصيل والتجربة الجمالية فيه, وقد غدا في مطلع القرن الثالث حركة جديدة في النقد الأدبي قصاراها التحلل من الأصول التقليدية، وانتهاج مفاهيم وأصول جديدة، فقد كان لموقف الشعراء، وشعورهم بأصالة نتاجهم الأدبي أثر في هذا التصور، فبدأ النقّاد يلتفتون إلى هذا النتاج ويدرسونه، وانتقلت هذه الأصول التي بدأها المفسرون واللغويون في دراسة القرآن الكريم وتقصي أسراره، إلى الميدان الأدبي وتشبث بها النقاد لتقييم الشعر والنثر.

وبذلك دخل النقد والأدب معًا مرحلة ناهضة، نضج فيها، ونلاحظ طابع هذا التحول في الاصطلاحات اللفظية التي عني اللغويون بها، إلى أصول وقواعد تجد فيها للذوق والجمال ظلالاً، فقد بدأ هذا التحول من أصل ديني، إذ كان نقد أول الأمر مسألة إعجاز القرآن، وذهبوا إلى أنّه هل كان في اللفظ القرآني ومعناه من أعجاز؟

كان أول من تطرّق إلى هذه المسائلة هو الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، ومع أنّه أحد شيوخ المعتزلة، إلّا أنّه لم يأخذ بمذهب أستاذه، إذ ذهب الى مسألة اللفظ، وكتب بذلك، لكنه ضاع كما ضاع كثير من كتبه، ومع ذلك وصلنا جزءٌ من آرائه، فقد جاءنا عن السيوطي (ت٩١١هـ)، أنه قال بإعجاز القرآن بلفظه لا بمعناه[٧].

وبهذا نقل الجاحظ الأمر من كونه علميًا إلى الميدان الأدبي، وجره الأمر إلى نقاش مسائل طريفة، استطاع فيها أن يدخل الميدان الأدبي والدراسة الأدبية، وقد أصبح كثير من أصوله محورًا للدراسات في النقد بعده، كما سمعناه يرد على شيخٍ عاصره فيقول: ((وذهب الشيخ إلى استحسان المعنى، والمعاني مطروحة في الطريق، يعرفها الأعجمي والعربي، والبدويّ، والقرويّ، والمدني، وإنّما الشأن في إقامة الوزن، وتمييز اللفظ، وسهولته، وسهولة المخرج، وفي صحّة الطبع، وجودة السبك، فإنّما الشعر صناعةٌ، وضربٌ من النسج، وجنسٌ من التصوير))[٨].

ولم يستطع النقاد ـ بعد الجاحظ ـ أن ينهضوا بآرائهم، بل نجد أنّهم يعتزون بها ويرددونها، ويبدو أنّ قدامة بن جعفر تأثّر برأي الجاحظ، إذ نراه يقول: ((واللفظ السخيف موضع آخر، لا يجوز أن يُستعمل فيه غيره، وهي حكاية النوادر، وألفاظ السخفاء، والسفهاء، فإنّه متى حكاها الإنسان على غير ما قالوه، خرجت عن معنى ما أريد بها وبردت عند مستعملها، وإذا حكاها كما سمعها، وعلى لفظ قائلها، وقعت موقعها، وبلغت غاية ما أريد بها، ولم يكن على حاكيها عيبٌ في سخافة لفظها[٩].

وتبعه في ذلك الجرجاني (ت٤٧١هـ) في النظرية نفسها، فقد أُعجب بالجاحظ، فيقول: ((فيرق شعر أحدهم ويصلب شعر الآخر، ويسهل لفظ أحدهم ويتوعر منطق غيره، وإنّما ذلك بحسب اختلاف الطبائع، وتركيب الخلق، فإنّ سلامة اللفظ تتبعُ سلامة الطبع، ودماثة الكلام، بقدر دماثة الخلقة، وأنت تجد ذلك ظاهرًا في أهل عصرك، وأبناء زمانك، وترى الجافي منهم جلف الألفاظ، معقد الكلام، وعسر الخطاب، حتى إنّك ربّما وجدت ألفاظه في صوته ونغمته، وفي جرسه ولهجته، ومن شأن البداوة أنْ تُحدث بعض ذلك))[١٠].

أمّا أبو هلال العسكري (ت٣٩٥هـ)، فلم يكن قادرً على أنْ يبتعد عن آراء الجاحظ، أو يضيف إليه شيئًا، فهو يردد قائلاً: ((إنّ أعظم مدار البلاغة على تحسين اللفظ؛ لأنّ المعاني إذا أُدخل بعضها في بعض، هذا الدخول وكانت الألفاظ مختارة حسن الكلام))[١١].

النقد عند الغربين:

إنّ اليونان هم الذين وضعوا أصول الحضارة الغربية في الفلسفة والفن، وهم أيضًا من وضعوا أصول النقد وقواعده، فهو يأخذ عندهم مرحلتين: مرحلة الشعراء، ومرحلة الفلاسفة، فنبدأ بمرحلة الشعراء، فقد ارتقوا بشعرهم من نوعه القصصي إلى نوعه الغنائي، ثم نوعه التمثيلي، فهو لم يحدث عفوًا، وإنّما حدث تحت تأثير ذوق الجمهور، ورغبة الشاعر في أن ينال إعجابه واستحسانه، وإنّ هذه صورة قوية من صور النقد، فالشاعر ينقد عمله كما يتصوره عقله ويلهمه خياله، ويجدد فيه ضروبًا مختلفة من التجديد.

وأكبر دليل على ذلك، هو أننا لا نصل إلى الشاعر الممثل (أرستو فان) حتى نجده يؤلّف مسرحيته المشهورة (الضفادع)، وفيها ينقد الشعراء خاصة (يوري بديد)، الذي اتجه في مسرحياته إلى التحرر من التقاليد الدينية، ونزع إلى استخدام اللغة اليومية, ومن بعد هذه المرحلة تأتي مرحلة فلاسفة اليونانية، الذين أخضعوا كل ما حولهم للبحث والدراسة، وكذلك كان الشأن في فرنسا وألمانيا وروما، فقد حل ذوق جديد في كل الأمم الغربية، وأخذ الشعراء يؤكدون هذا الذوق بما يكتبون في مقدمات دواوينهم وآثارهم، على نحو ما كان يصنع (فيكتور هيجو)، فلم يعد النقاد يكتفون بالنجاح في اليونانية والرومانية، فقد انصبوا على نماذج أوربا الحديثة يدرسونها، فبذلك ظهرت الحاجة إلى نوع من النقد المقارن، كما ظهرت الحاجة إلى كتابة التاريخ الأدبي الحديث لكل أمة غربية.

وبذلك فقد لعب النقاد الفرنسيون دورًا واسعًا في هذا الاتجاه ومن بينهم (سانت بيف) الذي رأى أنّه من واجب النقاد أن يحولوا اهتمامهم من الآثار الأدبية إلى الأدباء، يتعرفوا على شخصياتهم وحياتهم بكل دقائقها، حتى تتكشف آثارهم وتتضح بكل صفاتها خصائصها، كما يدعو إلى تصنيف الأدباء في فصائل على نحو ما يصنف أصحاب التاريخ الطبيعي.

وقد حاول معاصره (تين) أن يفسّر الأدب تفسيرًا طبيعيًا، فردّه لا إلى المؤلف، وإنما إلى ثلاثة مؤثرات عامة هي: (الجنس, البيئة, الزمان)، وفي هذا الوقت نشير إلى (بودلير)، وديوانه (أزهار الشر)، فثارت عليه الحكومة الفرنسية، وكذلك ثار عليه بعض النقاد فدعوا إلى خلقية الفن، وبذلك ظهر مذهب نقدى جديد ينادى بـ (الفن اللفن)، فلا يقف أصحاب هذا المذهب عند فكرة الأخلاق، بل يدعون الى تحرر الفن من كل ما سواه، سواء كان خلقًا، أم سياسة، أم دينًا، فالفن اللفن ليس له غاية سوى إرضاء حاسة الجمال في الانسان(١٢).

نشأة النقد في العصر الجاهلي:

كانت نشأته عند العرب تشبه نشأته عند اليونان، حيث نشأ بين الشعراء، وظل هكذا لحقبٍ متطاولة، حتى وضعت علوم العربية، ووضعت معها قواعده وأصوله، ويمكن أنْ نلاحظ ذلك في صناعة الشاعر الجاهلي، الذي كان يحتفل بنظم شعره احتفالاً شديدًا؛ لكي يرضى الجمهور الذي يستمع إليه حين إنشاده، ولم يكتفٍ بذلك، بل أمتد بصره إلى أفق أوسع، وجمهور أكثر، لذلك قصد الأسواق، وتنقّل في القبائل، وفي ذلك إخبار أنّ الاعشى (ت ٧هـ)، كان ينشد شعره على آلة موسيقية (الصنج)، إذ كان يطوف بها بين أحياء العرب، فقد كانت الأحياء وشيوخها يحتفلون به، ويقبلون عليه لسماعه ويهيئون له الهدايا، وتعد هذه أول صورة لتقدير الجماهير للأدب وتقويمه، وبروزها في هذا العصر يدل على رقي الذوق، فقد اندفع الشاعر محاول إرضاء هذا الذوق في أنْ يقع منه موقع استحسان، لذلك فقد كان ذلك هو السبب الحقيقي في وقوفه بشعره عند موضوعات بعينها، حتى يقول زهير بن أبي سلمى(١٣):

ما أرانا نقول إلّا رجيعًا أو معادًا من قولنا مكرورًا

ومما تقدم كلّه يدلّ على أنّ النقد في الجاهلية كان شائعًا، وكان يأخذ مظهرين هما: الأول مظهر يشترك فيه العرب جميعًا حين يستمعون إلى شعر شاعر، فيقدرونه ويطربون له، ويتقدم أشرافهم وأمراؤهم فيجيزون أصحابه, والثاني مظهرًا مقصورًا على الإخصائيين من الشعراء، الذين كانوا لا يكتفون بإظهار الإعجاب أو السخط، بل يعمدون إلى إبداء الملاحظات والآراء على ما يسمعون.

النقد في العصر الاسلامي:

يمتدّ هذا العصر من ظهور الاسلام إلى قيام الدولة العباسية، وفيه تعاقبت ثلاثة أجيال، والنقد في هذا المدة لم يتغير، ولم ينشط؛ فقد شُغل العرب عن الشعر بالقرآن الكريم، والفتوحات، وعلى كل حال فلم ينمُ النقد في هذا العصر ولم يثوَ، وإنما كان ينمو ويقوى في العصر الأموي؛ حين استقر العرب في المدن والأمصار، وتأثّروا بالحضارات الأجنبية من جانبيها المادي والعقلي، فتطوّر شعرهم، وتطورت معه أذواقهم(١٤).

ونكتفي بأنّ نذكر (جرير والفرزدق)، كمثالين، وما أثير حولهما من نشاط نقدي؛ لنتعرف إلى أيّ حدٍّ كان (المربد) باعثًا على نشاط النقد، فكان كل منهما حلقة، وكان الناس يستمعون إلى مناظرات الشعر التي بعثوها، وتسمى في تاريخ الأدب العربي باسم (النقائض)، فهي تقوم على أنْ يصوغ أحدهما قصيدة في الفخر بنفسه وعشيرته وهجاء صاحبه وقبيلته، ثم يردّ صاحبه عليه، وفي أثناء ذلك يتصايح الناس ويهللون ويصفقون، كما ويتقدم الشعراء فيبدون ملاحظاتهم على الشاعرين(١٥). فقد جرت على ألسنة الشعراء بعض كلمات معروفة عند النقاد مثل كلمتي (الخاصة والعامة)، فقد كان جرير أشعر عند العامة، والفرزدق أشعر عند الخاصة، ومثل فكرة الإلهام، وعلى كل ما تقدم في هذه المدة لا يعدو ملاحظات جزئية، فلا يزال النقد نقد ذوق وإحساس، لا نقد قواعد ومقاييس مضبوطة(١٦).

إذن النقد الإسلامي لا يختلف كثيرًا عن النقد الجاهلي، فهو لا يزال مثله، يعتمد على الذوق والشعور، وهو بسيط غير معقد، كما إنّ الناقد لا يزال يستوحي وجدانه الخاص ولا يرجع إلى مقاييس دقيقة، وإنّ العرب حتى هذا العصر لم يتعودوا تحليل الحقائق ولا وضع القواعد في الفنون إلّا بعض آراء شاردة للنقد، الذي لا يزال فطريًا غير معلل، ومن حيث أنّ مذاهبهِ ومدارسه لم تنشأ، فعلله ومقاييسه إنّما نشأت في العصر العباسي(١٧).

التطور النقدي في العصر العباسي:

إنّ فاتحة هذا العصر هي ثمرة امتزاج الثقافات الأجنبية من (فارسية، ويونانية، وهندية)، بالثقافة العربية الموروثة، لذلك كان من الطبيعي أنْ يتغير النقد ويتطور في ظل هذه الحياة الجديدة، ومن جهة العرب فإنّهم لم يعودوا يحكمون على الشعر والنثر بطبيعتهم العربية وحدها، بل انضمت إليها في تكوين الحكم الأدبي الثقافات التي عرفوها، وما أثرت في عقلياتهم(١٨). على ضوء هذا التطور نهضوا بالشعر والنثر نهضة

واسعة، فأمّا الشعر فقد أضافوا إلى نوعه القديم ذي الفنون المعروفة كالمديح، والهجاء، وغيرهما، نوعًا جديدًا، عبروا فيه عن حياتهم وعواطفهم، كما عبّروا عن الحضارة المادية التي عاشوها، بخمرها، وقصورها ورياضها ومجالس أنسها، وتصرفوا فيه تصرفًا بارعًا، من حيث الألفاظ والأساليب والأفكار والمعاني[١٩]. إنّ هذا التطور قد انتهى بالنقد العربي إلى نموٍّ كبير، وذلك بسبب أنّ تطوّر الأدب لا بدّ أن يتبعه تطوّر في الحُكم عليه، سواء عند الأدباء، الذين ينتجونه، أم عند القراء الذين يقرؤونه ويتمتعون به، ثم يحاولون تقديره وتقويمه[٢٠].

كما وإنّ ما عمله العلماء في هذا العصر، وهو أنْ جمعوا ما استطاعوا من أشعار الجاهليين والإسلاميين، فكانت المادة الأدبية التي ينقدونها أغزر وأوفر، وجمعوا كذلك مادة اللغة، واطّلعوا على أقوال النقاد السابقين، كما نُقلت إليهم أقوال الفرس والهند واليونان في معنى البلاغة وشروطها، وفتح هذا لهم مجال النقد، ومكّن لهم رقي الذوق، وأن يحوروا النقد القديم غير المعلل، الذي لا يعدو كونه أستحسان أو استهجان إلى نقد معلل يبين فيه سبب الاستحسان والاستهجان.وقد روي لنا أنّ النقد في هذا العصر كان متجهًا اتجاهين أو نمطين، هما: نمط امتداد النقد الجاهلي والإسلامي، مع ما اقتضته البيئة من تحوّل، وإن العلماء باللغة والأدب في هذا العصر أمثال (الخليل، والسكاكي، والأصمعي، وأبي عمرو بن العلاء، وابن الأعرابي)، كانوا يستعرضون الشعراء السابقين: جاهليين، وإسلاميين، ويتذوقون شعرهم، ويبدون فيه رأيهم، فيقولون مثلًا: إن شعر النابغة قويّ الصياغة، شديدُ الأسر، وشعر امرئ القيس غزيرُ بالمعاني، التي لم يُسبق إليها، وشعر جريرٍ أسهلُ وأرق، وشعر الفرزدق أقسى وأصلب، إلى غير ذلك[٢١].

يقول أبو عمرو بن العلاء في ذي الرمة: إنّ شعره نَقْطُ عروسٍ تضمحلُّ عمّا قليلٍ، أو أبعار ظباء لها شمّ في أول شمها ثم تعود الى أرواح الأبعار، يريد أن يقول إنّ لشعره حلاوة، ولكن لا تبقى, وقد كان هؤلاء العلماء يتنازعون في أفضلية الشعراء فكان المفضل الضبي يقدّم الفرزدق على جرير، وأبو عمرو بن العلاء يقدّم الأخطل تم جريرًا ثم الفرزدق، أمّا علماء الكوفة فقد كانوا يقدّمون الأعشى على من في طبقته، أمّا علماء البصرة فيقدّمون امرئ القيس، وأهل الحجاز يقدمون النابغة وزهير[٢٢].

إنّ لهذا الاختلاف في التفضيل أسبابٌ، من ذلك إنّ بعض العلماء كانوا يحبون الغريب من الألفاظ، فيقدم من الشعراء من يستعمل الغريب، ومنهم من يحب الغزل، فيقدم أكثرهم غزلاً، ومنهم من يحب النحو فيقدم الفرزدق لإكثاره من التقديم والتأخير وغير ذلك, وقد قاموا باستعراض الشعراء الذين تواردوا في شعرهم على معنى واحد، ففضلوا قولاً على قول، ففضلوا في الصبر على النوائب قول دريد بن الصمة[٢٣]:

يُغــارُ عَلَينــا واتِــرينَ فَيُشتَفــى   بِنا إِن أُصِبنا أَو نُغيرُ عَلــى وِترِ
بِذاكَ قَسَمنا الدَهرَ شَطرَينِ قِسمَةً   فَما يَنقَضي إِلّا وَنَحنُ عَلى شَطرِ

وهذا النمط يشبه النمط في العصر الأموي، لكنه أوسع وأعمق؛ لِما ذكرت من أنّ عندهم أصبحت أغزر، وعلمهم بالشعر أوفر، وهم قد تفرغوا لهذا الضرب من العلم، وإذا نقدوا علّلوا، فكان يونس بن حبيب يفضل الفرزدق؛ ويعلل ذلك بأنّه أكثرهم عددَ قصائد طوالٍ جيادٍ، ولم نجد للأخطل عشرًا بهذه الصفة، ووجدنا لجرير ثلاثًا بهذه الصفة، وخلف الأحمر يفضل قصيدة مروان بن أبي حفصة التي مطلعها[٢٤]:

طرقتك زائرة فحي خيالها   بيضاء تخلط بالحياء دلالها

أما النمط الآخر الذي كان جديدًا لم يُسبق إليه فهو النمط العلمي، في النقد هو(نمط التأليف)، ووضع الكتب لا تتعرض إلّا للنقد وما يتصل به، وقد تكون البصرة أسبق البلدان الى ذلك؛ لأنَ الحركة العلمية فيها كانت على أتم ما يكون من نشاط، فقد كان فيها أول حركة للاعتزال والمعتزلة هم من وضعوا أصول البلاغة التي كانوا هم بحاجة إليها في الدعوة وإقامة الحجج، فوضع منهم بشر بن المعتمر الصحيفة الخالدة في البلاغة، وجاء بعده الجاحظ[٢٥]. إنّ إحياء التراث الشعري العربي، وتتبع النصوص القديمة بما فيها من بلاغة وفصاحة وبيان، هذا التتبع يُعد من الخطوات اللازمة والضرورية لربط الحاضرة بالماضي، فقد تغيرت ظروف الحياة على الشعراء في العصر العباسي ابتداء من بشار بن برد إلى آخر العصر العباسي، وما بعده بزمن، خاصة في بغداد التي بلغت فيها النهضة العلمية والاقتصادية والأدبية، وبدأت آثار هذه النهضة واضحة في معالم الحياة كافّة[٢٦]. وقد اتّسعت آفاق في هذا العصر بفضل الثقافات الوافدة، وتنوعت أساليب العصر،

ووجدت طائفة من الشعراء رغبت في القديم، وتطلعت إلى نوع من التجديد بكل المقاييس، سواء كان تجديدًا في الأغراض الشعرية أو في مقدمات القصائد وفي الأوزان الشعرية، وتأثر الشعر في هذا العصر بالحياة العامة، لا سيما وأنّ هذا العصر أمتد لمدة زمنية طويلة تقارب خمسة قرون، أي ما بين (١٣٢– ٦٥٦هـ)، فهو يُعد العصر الذهبي للحاضرة الإسلامية، إذ تمثل فترة النضوج في مختلف المجالات لا سيما الأدب والشعر.وعند الحديث عن الشعر في هذا العصر سوف نتحدث أولًا عن الازدهار، إذ كانت البادية في هذا العصر لا تزال تمدّ

الحاضرة بكثير من الشعراء ذوي السليقة العربية السليمة، من مثل (أبي البيداء، وابن الدمينة، وابن ميادة، وأبي حية النميري)، وغيرهم، فقد تحوّل كثير من هؤلاء الشعراء إلى معلمين يعلمون الناشئة اللغة ورواية الشعر القديم[٢٧].

كما لم يعرض هؤلاء اللغويون على شعراء الحاضر نماذج الشعر القديم السهلة فحسب، بل لقد كان همّهم الأول أنْ يعرضوا عليهم النماذج المليئة بالحواشي والألفاظ الغريبة، حتى أنّ الجاحظ يقول: (((لم أرَ غاية النحويين إلّا كل شعر فيه إعراب، ولم أر غاية رواة الأشعار إلّا كل شعر فيه غريب أو معنى صعب يحتاج إلى الاستخراج))[٢٨]. ومن أهم ما حفزهم إلى ذلك هو القرآن الكريم والحديث الشريف حتى لا تستغلق دلالتها على أفهام الناس، والعلماء أنفسهم مما جعل الجاحظ يقول: ((للعرب أمثال واشتقاقات وأبنية وموضع كلام يدل عندهم على معانيهم وإراداتهم، فمن لم يعرفها جهل تأويل الكتاب والسنة والشاهد والمثل، فإذا نظر في الكلام، وفي ضروب من العلم، وليس هو من أهل هذا الشأن هلك وأهلك الناس))[٢٩]. وبذلك فإنّ خلفاء بني العباس أظهروا محافظة شديدة على لغة القرآن الكريم، وبعثوا العلماء على مدارسها والتعمق فيها، ورواية كل ما يتصل بها من أسباب، وأيامٍ، وأخبارٍ، وأشعارٍ، وكما يذكر المرزباني في كتاب (الموشح) فصلاً طويلاً يصوّر فيه كيف كان الشعراء يعرضون أشعارهم على اللغويين ليجيزوها لهم، فهم قضاة الشعر وصيارفته، وفي ذلك يقول الخليل بن أحمد لابن مناذر: ((إنّما أنتم معشر الشعراء تبعٌ لي، وأنا سكان السفينة إن قرظتكم ورضيت قولكم نفقتم وإلا كسدتم))[٣٠]. ولقد ظل الشعراء العباسيون ينظمون في الموضوعات القديمة من المديح وغيره، مما كان ينظم فيه الجاهليون والاسلاميون، وبذلك أبقوا الشعر العربي على شخصيته الموروثة، كما ومضوا يدعمونها دعمًا بما لاءموا بينها وبين حياتهم العقلية الخصبة، وأذواقهم المتحضرة المرهفة، فإذا هي تتجدد من جميع أطرافها تجددًا لا يقوم على التفاصيل بين صورة هذه الموضوعات الجديدة وصورتها القديمة، بل يقوم على التواصل الوثيق, وقد كان الشعر العباسي من أرقى الفنون الأدبية، وفي ذلك قال الشكعة عن هذا الشعر في العصر العباسي: ((على أنّ المجتمع العباسي مجتمع ثري خصب منتج معطاء، تفاعلت فيه معاني الشعر وموضوعاته وصوره وأساليبه وخياله وشخوصه))[٣١]. وكان من أبرز الأغراض الشعرية في هذا العصر (المديح ـ الحكمة ـ الزهد ـ الوصف ـ اللهو والمجون ـ التطفيل والكدية ـ الرثاء، ومنها رثاء المدن)، ومن أبرز العوامل التي ساعدت في ظهور الشعرية المتنوعة عند بعض الشعراء في هذا العصر هي الشعوبية، وتنوع الثقافات، واختلاط العرب بغيرهم من الأمم والشعوب.

الدرس التطبيقي للنقد:

النموذج: (بشار بن برد):

كان بشار بن برد عبقريًا، إذ تمكّن من تذليل عاهة العمى عنده، ونشر شعره في الآفاق، فكان عبقًا أثلج النفوس، ودافعًا للتحرر من قيود هذه العاهة، التي تقف حجرة عثرة أمامه، فقد ذكر الجاحظ قول الأعشى وبشار وعلّق عليهما:

قول الأعشى:

بَيْضَاءُ ضَحْوَتُهَا وَصَفْرَ　　　اءُ العَشِيّةِ كَالعَــــرَارَةْ

وقول بشار:

وَخُذي مَلابِسَ زينَــةٍ　　　وَمُصَبَّغَـــاتٍ هُنَّ أَنوَر
وَإذا دَخَلنا فَادخُلي في　　　الحُمرِ إِنَّ الحُسنَ أَحمَر

فيقول الجاحظ فيهما: ((وهذان أعميان، قد اهتديا من حقائق هذا الأمر إلى ما لا يبلغه تمييز البصير، ولبشار خاصة في هذا الباب ما ليس لأحدٍ))[٣٢]. وقد عُرف باعتداده بنفسه وشعره فقد سئل في ذات مرّة: بم فقت أهل عمرك، وسبقت أبناء عصرك في حسن معاني الشعر وتهذيب ألفاظه؟ فأجاب: لأني لن أقبل كل ما تورده على قريحتي، ويناجيني به طبعي، ويبعثه فكري، ونظرت إلى مغارس الفطن، ومعادن الحقائق، ولطائف التشبيهات، فسرت إليها بفكر جيّد، وغريزة قوية، فأحكمت سبرها، وانتقيت حرها، وكشفت عن حقائقها، واحترزت من متكلفها، ولا والله ما ملك قيادي قط الإعجابُ بشيء مما آتي به))[٣٣]. إنّ عناية بشار بشعره هي التي جعلته في منزلة رفيعة بين أقرانه من الشعراء، فقد جعلت الجاحظ يقول عنه: ((والمطبوعون على الشعر من المولدين بشار العقيلي، والسيد الحميري، وأبو العتاهية، وابن أبي عيينة، وقد ذكر الناس في هذا الباب يحي بن نوفل، وسُلمًا الخاسر، وخلف بن خليفة، وأبان بن عبد الحميد اللاحقي، أول بالطبع من هؤلاء بشار أطبعهم كلهم))[٣٤].

بشار و العمى:

كان بشار منذ أن وُلد لم ينظر إلى الدنيا قطّ، ولكنه وعلى عماه، كان ذكيًا فطنًا منذ صغره، ولقد قال الشعر ولم يبلغ عشر سنين، وقد كان أوّل عهده يهجو الناس، فإذا ما هجا قومًا جاؤوا إلى أبيه فشكوه، فيضربه ضربًا شديدًا، وكانت أمّه تقول: كم تضرب هذا الصبي الضرير أما ترحمه؟ فيقول: بلى والله إني لأرحمه، ولكنّه يتعرض للناس فيشكونه إلي، فسمعه بشار فطمع فيه فقال له: يا أبت إنّ هذا الذي يشكونه مني إليك هو قول الشعر، وإني إن ألممت عليه أغنيتك وسائر أهلي، فإن شكوني إليك فقل لهم: أليس الله يقول: (ليس على الأعمى حرج), فلما عاودوه شكواه قال لهم برد ما قاله بشار، فانصرفوا وهم يقولون: فقه برد أغيظ لنا من شعر بشار))[٣٥].

ولقد كان العمى عنده مدعاة للتأمل، مدعاة للذكاء، لذلك عندما سأله الأصمعي يومًا: من أين لك هذا الذكاء؟ قالك من قدم العمى وعدم النواظر يمنع من كثير من الخواطر المذهلة، فيكسب فراغ الذهن وصحة الذكاء، وأنشد لنفسه يفخر بالعمى:

عميت جنينا و الذكاء من العمى فجئت عجيب الظن للعلم موئلا))[٣٦].

كما كان يفتخر بعماه على خلاف أمثاله من ذوي العاهات، الذين غالبًا ما يستكينون لقضاء الله وقدره في ذلّة وانكسار، ولا يصل بهم الحال إلى الافتخار بعاهاتهم، ولم يعتمد في وصفه على ذاكرة سابقة، بل اعتمد على ذكائه، وذكر أنّ عماه قوّى حواسّه وقدراته الأخرى على الإدراك، وقد ذكر صاحب الأغاني أنّ بشار أنشد قوله:

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبُه

فقيل له: ما قال أحد أحسن من هذا التشبيه، فمن أين لك هذا ولم ترَ الدنيا قط، ولا شيئًا فيها؟ فقال: إن عدم النظر يقوّى ذكاء القلب، ويقطع عنه الشغل بما ينظر إليه من الأشياء، فيتوفّر حسه، وتذكو قريحته))[٣٧]. وعرف بعض أصحابه أثر العمى على مزاجه، فكانوا يحاولون عبثًا إغاظته مرة بعد مرة، فقد نقل ذلك صاحب الأغاني عن محمد بن سلام قوله: قال هلال الرأيم وهو هلال بن عطية، لبشار وكان له صديقًا يمازحه: إن الله لم يذهب بصر أحد إلّا عوضه بشيء فما عوضك؟ قال: الطويل العريض! قال: وما هذا؟ قال: ألّا أراك ولا أمثالك من الثقلاء، ثم قال له: يا هلال أتطيعني في نصيحة أخصك بها؟ قال: نعم, قال: إنك كنت تسرق الحمير زمانًا، ثم تبتَ وصِرتَ رافضيًا، عُد إلى سرقة الحمير، فهي والله خيرٌ لك من الرفض))[٣٨]. كما وصل به تطاوله على غيره، والاعتداد بشاعريته إلى أنْ جعل نفسه في مرتبةٍ أعلى من كل من حدّثته نفسه، فقد قال محمد بن حجاج: قلت لبشار: إني أنشدت فلانًا قولك:

إذا أنتَ لمْ تَشربْ مَرارًا عَلى القَذَى ظَمِئْتَ وأيُّ الناسِ تَصفُو مَشارِبُهْ

فقال لي: ماكنت أظنه إلّا لرجل كبير. فقال لي بشار: ويلك أفلا قلت له: هو والله لأكبر الجن والإنس))[٣٩].

وقد بالغ بشار في هجاء خصومه، وانحط في هجائه لمقارعة من هم دونه منزلة، كحماد وغيره، فاجترأ عليه من كان يهابُه، وصار هدفاً للسوقة والعامة، وكان من أدل عليه قوله في حماد، إذ يقول:

ويا أقبحَ من قرد إذا ما عمي القرد[٤٠]

فأخذه ذلك واهتم له، وذكر الجاحظ أنّ حماد عجرد لمّا هجا بشار بشعره جزع بشار حتى قيل: إنه لم يجزع من شيء قط جزعه من هذا البيت))[٤١].

وإنّ الجاحظ قد عاب على بشار مهاجاة حماد؛ لأنه دونه شاعرية ومنزلة، فقد قال: ((وما كان ينبغي لبشار أن يناظر حماد من جهة، ويتعلق بالشعر؛ لأنّ حماد في الحضيض وبشار مع العيوق، وليس في الأرض مولد قروي يُعد شعره في المحدث إلّا وبشار أشعر منه))[٤٢].

وعلى هذا فقد كان العمى نقيصة خَلقية، استهدفها خصومه في هجائهم له، وعلى رغم مالقيه فإنّ موقفه من العمى كان مخالفًا لهم، فلم يمنعه عماه من صقلِ مواهبة، والسعي وراء المعرفة بمجالسة أهل العلم والمعرفة، فقد قال:

شِفَاءُ العَمَى طَولُ السؤالِ وإنَّمَا تَمَامُ العَمَى طُولُ السُّكُونِ عَلَى الجَهْلِ

فَكُنْ سَائِلا عَمَّا عَنَاكَ فَإنَّما دَعيتَ أَخَا عَقلٍ لِتَبْحَثَ بِالعقْلِ[٤٣]

ولا شكّ أنّ الخلاف في الحواس هي من يدرك العناصر الخارجية وينقلها إلى الذهن، فيقوم بإثارتها واستغلالها وقت الحاجة، وأنّه لا خلاف في أنّ البصر هو المصدر الرئيس في إيراد الشاعر خاصة بما يلزمه من صور يوظفها في شعره، وإنّ لحاسة السمع الدور البالغ في تصوير بشار ووصفه الأشياء، يظهر ذلك في قوله:

بُلِّغْتُ عَنْهَا شَكلًا فَأعجَبَنِي والسَّمْعُ يَكْفِيكَ غَيبةَ البَصَرِ

فقد لم يكن الأمر كما لو أبصر، ولكن الأذن بمثابة العين، تحل محلها عند الضرورة.

معرفة بشار بالشعر القديم وتذوقه:

قد ذهب بشار إلى أنّ الشعراء أقدر على نقد الشعر من علماء اللغة، فقد سئل عن جرير والفرزدق أيهما أشعر؟ فقال: جرير أشعرهما، فقيل: لماذا؟ فأجاب: لأنّ جرير يَشيد إذا شاء، وليس كذلك الفرزدق؛ لأنه يشتد أبدا, وقيل له: فإنّ يونس وأبا عبيدة يفضلان الفرزدق على جرير، فقال: ليس هذا من عمل أولئك القوم، إنما يعرف الشعر من يضطر إلى أن يقول مثله(٤٤).

من هذا القول يظهر لنا أنّ بشار ينفي قدرة هؤلاء اللغويين ـ مع علمهم وكفاءتهم ـ على تمييز الشعر الجيد من الأجود، والحسن من الأحسن، وبذلك لن تكون لهم القدرة على المفاضلة بين الشعراء وشعرهم، وهذا المنهج سار عليه بشار وتابعه عليه الكثير من الشعراء بعده.

وقد كان بشارُ شديدَ الغيرة على شعره، قاسيًا على من ينتقصه، فجعل من شعره وسيلة دفاع يرد بها على من يعيبونه أو شعره، فقد جاء في الأغاني أنّ الأخفش عاب على بشار فقال:

فالآنَ أَقْصِر عَن سَميّة بَاطِلِي وأشــارَ بالوَجلــي عليّ مشيرُ

وقوله:

تلاعب نينان البحور وربما رأيت نفوس القوم من جريها تجرى

فقد قال: لم يسمع من الوجل والغزل فعلى، ولم أسمع بنون ونيان، فقد بلغ بشار الخبر فقال: ويلي على القصارين متى كانت الفصاحة في بيوت القصارين؟ دعوني وإيّاه وتهددهن ثم سُعي للصلح بينهما فاصطلحا، كما كان الأخفش بعد ذلك يحتج بشعره في كتبه(٤٥).

كما ذكر سابقًا أنّ بشار كان شديدَ الغيرة على شعره، ويدافع عنه، وأيضًا شديدًا على من ينتقصه بغير حق، جاء في الأغاني أنّ بشار أنشد مروان بن أبي حفصه بيتًا من الشعر فقال:

وإذا قُلــتُ لَـهــا جُودِي لَنــا خَرَجَتْ بِالصّمتِ مِن لَا وَنَعَمْ

اعترض عليه مروان، فقال: جعلني الله فداءك يا أبا معاذ، هلّا قلت: خرست بالصمت، فقال: إذا أنا في عقلك فض الله فاك، أتتطير على من أحب بالخرس(٤٦). وإذا تأملنا شخصية بشار نجد أنّه كان رجلاً حادَ الطبع، متقلّب المزاج، شديدَ الانفعال، لكنه مع ذلك كانَ ذا ذهن وقّاد، وفطرة سليمة، وساعده على ذلك عماه الذي قوّى خياله، وقوّى ذاكرته التي ساعدته على حفظ الكثير من شعر من سبقه، وأيضًا كونه تربّى في كنف فصحاء بني عقيل، وسكنه في البصرة. وقد عرف أو ذكر الأصمعي أنّه كان مطبوعًا لا يكلف طبعه شيئًا متعذرًا، لاكن البيت ويحككه أياما. وقال أيضًا: إنّ بشار خاتمة الشعراء، والله لولا أنّ أيامه تأخرت لفضلته على كثير منهم(٤٧).

بشار ناقدًا:

الكثير من القدماء اعترفوا بملكة بشار في النقد، ومنهم ابن المعتز، إذ يقول: ((ولا أعرف أحدًا من أهل العلم والفهم دفع فضله، ولا رغب عن شعره))(٤٨). ويقول: ((فهو أستاذ أهل عصره، غير مدافع، ويجتمعون إليه وينشدونه، ويرضون بحكمه))(٤٩). كما وعرف أنّه كان لا يحابي الشعراء في شعرهم، فقد نقل صاحب الأغاني عن أبي النضير قوله: ((أنشدت بشارًا قصيدة لي فقال لي: أيجيئك شعرك هذا كلما شئت أمن هذا شيء يجيئك في الفينة بعد الفينة إذا تعلمت له؟ فقلت: بل هذا شعر يجيئني كلما أردته، فقال لي: قل فإنك شاعر فقلت له: لعلك حابيتني أبا معاذ وتحملت لي؟ فقال: أنت أبقاك الله أهون علي من ذلك))(٥٠). كما وقد ذكر صاحب (العقد الفريد) أنّ رجلاً كان يدعّي الشعر ويستبرده قومه، فقال لهم: أنما تستردوني من طريق الحسد، فقالوا: فبيننا وبينك بشار العقيلي، فارتفعوا إليه فقال له: أنشدني، فأنشده فلما فرغ قال بشار: إني لأظنك من أهل بيت النبوة, قال له: وما ذلك؟ قال: إن تعالى يقول: (وما علمناه الشعر وما ينبغي له)، فضحك القوم وخرجوا عنه))(٥١). ومن خلال كل ما تقدّم يمكن التعرض إلى العديد من الآراء وتضاربها حول بشار بن بُرد وشعره، وإنّ الكثير من العلماء الذين عاصروه مثل الأصمعي، وأبي عبيدة، كانوا يقدرونه ويتعصبون له ولشعره، ويرون به الأجدر بلقب خاتمة الشعراء, وأما عن العمى فقد تغلّب بشار على عاهته بتفعيله حواسه الأخرى كالسمع والشم.

النتائج:

وفي النهاية هذه الرحلة، خلص البحث إلى جملة من النتائج، هي الآتي:

١) إنّ معنى النقد هو تحليل القطع الأدبية، وتقدير ما لها من قيمة فنية، ولم تستعمل بهذا المعنى إلّا منذ العصر العباسي، فكانت تستعمل بمعنى الذم والاستهجان.

٢) دليل تأصيل هذا المصطلح في المفهوم العربي القديم هو وروده في عدد من المصادر العربية قديمة، مثل كتاب (نقد الشعر) لقدامة بن جعفر، وكذا استعمله ابن رشيق القيرواني في عنوان كتابه (العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده).

٣) عدم ظن بكفاية تعريف النقد في الإلمام بالدراسات من جميع جهاتها، بل يجب أنْ ننظر إلى الناقد أيضًا، فهو يُعدّ حجر الزاوية في إرساء دعائم النقد على أسس متينة من الفهم والدراية.

٤) إن اليونان أول من وضعوا أصول النقد وقواعده عند الغربين، وقد مر عندهم بمرحلتين هما مرحلة الشعراء، ومرحلة الفلاسفة.

٥) نشأة النقد عند العرب كانت تشبه نشأته عند اليونان، إذ نشأ بين الشعراء وظل هكذا على حقبٍ متطاولة، فقد كان شائعًا في الجاهلية، ويأخذ مظهرين هما مظهر يشترك فيه العرب جميعًا، حين يستمعون إلى شعر شاعر فيقدرونه ويطربون له, ومظهر مقصور على الإخصائيين من الشعراء، الذين كانوا لا يكتفون بإظهار الإعجاب أو السخط، بل يعمدون الى إبداء الملاحظات والآراء على ما يسمعون.

٦) النقد في العصر الإسلامي لم يتغير أو ينشط، إذ انشغل العرب عن الشعر بالقرآن الكريم والفتوحات، فهو لا يختلف عن النقد في الجاهلية، فهو لا يزال مثله يعتمد على الذوق والشعور، وهو بسيط غير معقد، والناقد لا يزال يستوحي وجدانه الخاص، ولا يرجع إلى مقاييس دقيقة.

٧) في العصر العباسي قد كان فاتحة هذا العصر ثمرة امتزاج الثقافات الأجنبية بالثقافة العربية الموروثة سبب طبيعي في تغير النقد وتطويره في ظل الحياة الجديدة، فإنّ العرب لم يعودوا يحكمون على الشعر والنثر بطبيعتهم العربية وحدها، بل انضمت إليها في تكوين الحكم الأدبي الثقافات التي عرفوها وما أثرته في عقلياتهم.

الهوامش:

(١) ينظر: واقع الدراسات النقدية العربية في مئة عام: إبراهيم خليل، مطبعة الجامعة الأدبية, (د. ط)، ٢٠١٢م: ٩.

(٢) ينظر: تحليل الخطاب النقدي المعاصر في المغامرة الجمالية للنص الأدبي دراسة في نقد النقد: أحمد شهاب, عالم الكتب الحديثة، الاردن، (د. ط)، ٢٠١٥م: ١٠.

(٣) ينظر: النقد الفني دراسة جمالية: جيروم لستولنيتز, ترجمة: د. فؤاد زكريا, دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، جامعة عين شمس، مصر، (د. ط)، (د. ت): ٧٥٣.

(٤) النقد الفني دراسة جمالية وفلسفية: جيروم ستولنيتز، ترجمة: فؤاد زكريا، مؤسسة هنداوي، (د. ط)، ٢٠١٧م: ٦٠٣-٦٠٤.

(٥) لسان العرب: ابن منظور: ٤٢٦/٣.

(٦) ينظر: مختارات من النقد الادبي المعاصر: معد رشاد شدي, مكتبة الانجلو المصرية، مطبعة العلوم، مصر، (د. ط)، (د. ت): ٨.

(٧) ينظر: الاتقان في علوم القران: السيوطي، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم: ١١٧/٢.

(٨) ينظر: الحيوان: الجاحظ، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط٢، (د. ت): ١٣١/٢-١٣٢.

(٩) ينظر: نقد النثر، قدامة بن جعفر, دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د. ط)، (د. ت): ١٣٩.

(١٠) ينظر: الوساطة بين المتنبي وخصومه: الجرجاني، تحقيق وشرح: محمد أبو الفضل إبراهيم: ١٧.

(١١) ينظر: كتاب الصناعتين: أبو هلال العسكري, دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د. ط)، (د. ت): ١٤٥.

(١٢) ينظر: النقد: د. شوفي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٥، (د. ت): ٢١- ٢٨.

(١٣) ينظر: ديوان الشعراء المخضرمين: د. شوقي ضيف: ٦٦٢م.

(١٤) ينظر : المصدر نفسه: ٢٩.

(١٥) ينظر: المصدر نفسه: ٣٣.

(١٦) ينظر: المصدر نفسه: ٣٥ ـ٣٧.

(١٧) ينظر: المصدر نفسه: ٣٧ ـ ٣٩.

(١٨) ينظر: المصدر نفسه: ٤٠.

(١٩) ينظر: المصدر نفسه: ٤٠.

(٢٠) ينظر: المصدر نفسه: ٤١.

(٢١) ينظر: النقد الأدبي: أحمد امين, مؤسسة هنداوي, (د. ط)، ١٩٩٥م: ٣٨٠.

(٢٢) ينظر: المصدر نفسه: ٣٨٠.

(٢٣) ينظر: ديوان الحماسة: ٣٥١/٢.

(٢٤) ينظر: ديوان العصر الإسلامي:

(٢٥) ينظر: المصدر نفسه: ٣٨١.

(٢٦) ينظر: الشعر العباسي: بتول حسين محمود مباركي, جامعة جازان قسم اللغة العربية, أدب ونقد المملكة العربية السعودية, المجلة الإلكترونية الشاملة، ع(٢٣): https://eimj.org/mag.php?id=15.

(٢٧) ينظر: الفهرست: ابن النديم, تحقيق: أيمن فؤاد سيّد، دار المعارف للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (د. ط)، ١٤٢٩هـ: ٦٥/٣.

(٢٨) ينظر: البيان والتبيين: الجاحظ, تحقيق: حسن السندوبي، مؤسسة هنداوي, (د. ط)، صدر في القرن التاسع الميلادي: ٢٤/٤.

(٢٩) ينظر: الحيوان: الجاحظ, وضع حواشيه: محمد باسل عيون السود, دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د. ط)، ١٩٧١م: ١٥٣/١.

(٣٠) ينظر: الأغاني: أبي الفرج الاصفهاني, دار ومكتبة الهلال، (د. ط)، (د. ت): ١٧/١٦.

(٣١) الشعر والشعراء في العصر العباسي: مصطفى الشكعة, دار العلم للملايين، بيروت، ط٦، ١٩٨٦م: ٨.

(٣٢) ينظر: البيان والتبيين: الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون, مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٧، ١٩٩٨م: ٢٢٥/١.

(٣٣) ينظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ابن رشيق القيرواني, تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد, دار الجيل، بيروت، (د. ط)، (د. ت): ٢٣٩/٢.

(٣٤) ينظر: البيان والتبيين: الجاحظ: ٥/١.

(٣٥) ينظر: الأغاني: الأصفهاني، تحقيق: د. إحسان عبّاس وآخرون، دار صادر، بيروت، ط٣، ٢٠٠٨م: ١٤٥/٣.

(٣٦) ينظر: الأغاني: ٩٨/٣, وديوان بشار بن برد: جمعه وحققه: محمد الطاهر بن عاشور، (د. ط)، ٢٠٠٧م: ١٣٦/٤.

(٣٧) ينظر: المصدر نفسه: ٩٨/٣.

(٣٨) ينظر: المصدر نفسه: ١١٦/٣.

(٣٩) ينظر: المصدر نفسه: ١٠٧/٣.

(٤٠) ينظر: طبقات الشعراء: ابن المعتز, تحقيق: عبد الستار أحمد فراج, دار المعارف، مصر، (د. ط)، (د. ت): ٢٦.

(٤١) البيان والتبين: الجاحظ: ٢١٠/١٤.

(٤٢) ينظر: كتاب الحيوان: الجاحظ: ٤٥٣/٤-٤٥٤.

(٤٣) ديوان بشار: ١٤٢/٤.

(٤٤) ينظر: إعجاز القرآن: الباقلاني، تحقيق: أحمد صقر, دار المعارف، مصر، (د. ط)، (د. ت): ١١٦-١١٧.

(٤٥) ينظر: الأغاني: ١٤٦/٣.

(٤٦) ينظر: المصدر نفسه: ١٤٠/٣.

(٤٧) ينظر: الأغاني: ١٠٤/٣.

(٤٨) ينظر: طبقات الشعراء: ابن المعتز، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج, دار المعارف، مصر، (د. ط)، (د. ت): ٢٨.

(٤٩) ينظر: الأغاني: ٢٦.

(٥٠) ينظر: المصدر نفسه: ١٢٥/٣.

(٥١) ينظر: العقد الفريد: ابن عبد ربه, ط١، ١٩٨٣م: ٢٢٩/٦.

المصادر والمراجع:

١) الاتقان في علوم القرآن: السيوطي, تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، (د. ط)، (د. ت).

٢) البيان والتبين: الجاحظ , تحقيق: حسن السندويى, (د. ط)، صدر في القرن التاسع الميلادي.

٣) تحليل الخطاب النقدي المعاصر في المغامرة الجمالية للنص الأدبي دراسة نقد النقد: أحمد شهاب, عالم الكتب الحديثة، الأردن، (د. ط)، ٢٠١٥م.

٤) ديوان الحماسة (برواية أبي منصور الجواليقي): أبي تمام، حبيب بن أوس الطائي (ت ٢٣١هـ)، تحقيق: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م.

٥) الشعر العباسي: بتول حسين محمود مباركي, المجلة الإلكترونية الشاملة, جامعة جازان قسم اللغة العربية, أدب ونقد المملكة العربية السعودية، ع٢٣، (د. ت).

٦) الشعر والشعراء في العصر العباسي: مصطفى الشكعة, دار العلم الملايين، بيروت, ط٦، (د. ت).

٧) الفهرست: ابن النديم, تحقيق: أيمن فؤاد سيّد، دار المعارف للطباعة والنشر، بيروت، لبنان, (د. ط)، (د. ت).

٨) كتاب أغاني: أبي الفرج الاصفهاني, دار ومكتبة الهلال, (د. ط)، (د. ت).

٩) كتاب الحيوان: الجاحظ, تحقيق: وشرح عبد السلام محمد هارون، ط٢، (د. ت).

١٠) كتاب الصناعتين: أبي هلال العسكري, دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د. ط)، (د. ت).

١١) كتاب النقد الأدبي: أحمد أمين, ط٤، ١٩٥٠م.

١٢) كتاب النقد: شوقي ضيف, دار المعارف، القاهرة, ط٥، (د. ت).

١٣) كتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه: الجرجاني, تحقيق وشرح: محمد أبو الفضل إبراهيم، (د. ط)، (د. ت).

١٤) كتاب نقد النثر: قدامة بن جعفر, دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د. ط)، (د. ت).

١٥) لسان العرب: أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري (ت٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤١٤هـ ،، ط٣، ١٤١٤هـ .

١٦) مختارات من النقد الادبي المعاصر: معد رشاد شدي, مكتبة الأنجلو المصرية، مطبعة العلوم، (د. ط)، (د. ت).

١٧) النقد الفني دراسة جمالية: جيروم لستولنيتز, ترجمة: فؤاد زكريا, دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر, جامعة عين الشمس، مصر، (د. ط)، (د. ت).

١٨) واقع الدراسات النقدية العربية في مائة عام: إبراهيم خليل, مطبعة الجامعة الأدبية, (د. ط)، ٢٠١٢م.